

الفصل الخامس

**موقف (راند) من بعض الدعوات، والجماعات،
والهيئات، والمؤسسات الإسلامية، والأحزاب
السياسية، والفرق، وتحليله ونقده**

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: موقف (راند) من بعض الدعوات والجماعات
الإسلامية، وتحليله ونقده.

المبحث الثاني: موقف (راند) من بعض هيئات الدعوة الإسلامية
ومؤسساتها، وتحليله ونقده.

المبحث الثالث: موقف (راند) من بعض الأحزاب السياسية في
العالم الإسلامي، وتحليله ونقده.

المبحث الرابع: موقف (راند) من بعض الفرق المنتسبة للإسلام،
وتحليله ونقده.

المبحث الخامس: موقف (راند) من الجماعات والتنظيمات
الإسلامية المسلحة، وتحليله ونقده.

المبحث الأول

موقف (راند) من بعض الدعوات والجماعات الإسلامية، وتحليله ونقده

أبرز قضية برزت في موقف (راند) من الدعوات والجماعات الإسلامية: قضية البرنامج السياسي؛ فتناولت (راند) بالدراسة كل جماعة إسلامية لها برنامج سياسي معارض للحكومة، أو مشارك لها، واقترحت ما تراه مناسباً للمصالح الأمريكية. بينما أهملت (راند) الجماعات غير المؤثرة في سياسة الحكومات. ويتضمن هذا المبحث مطلبين، يتناول الأول موقف (راند) من دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله. ويتناول الثاني أساليب المناورة^(١) التي تقترحها (راند) عند مشاركة الأحزاب الإسلامية في العملية السياسية.

(١) المناورة: كلمة معرّبة، أجاز مجمع اللغة العربية في القاهرة استخدامها بالمعنى العسكري أو السياسي، وتعني: الدهاء، والخداع، والحيلة. ينظر: المعجم الوسيط، ص ٨٨٨، مادة : (المناورة)؛ والقرارات الجمعية في الألفاظ والأساليب من ١٩٣٤ إلى ١٩٨٧م، محمد شوقي أمين وإبراهيم التريزي، (القاهرة، مجمع اللغة العربية، ١٩٨٩م)، ص ١٨٨.

المطلب الأول: دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله:

محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد بن محمد بن بريد بن مشرف، التميمي، من نسل عدنان^(١). ولد سنة ١١١٥ هـ في بلدة العيينة من نجد^(٢). «وكان من بيت علم في آبائه وأعمامه وبني أعمامه، واتصل العلم في بنيه وبني بني»^(٣).

طلب العلم في بلدته، وظهرت علامات نبوغه منذ صغره. وتفقه على والده قاضي العيينة، ثم رحل في طلب العلم إلى ما يليها من الأمصار، فطلبه في المدينة المنورة، ثم قصد البصرة، وتلقى العلم فيها عن جماعة كثيرين، وكان في أثناء مقامه في البصرة يُنكر ما يرى ويسمع من الشرك والبدع، ويحث على طريق الهدى والاستقامة. فأوذي بسبب ذلك وأُخرج فعاد إلى نجد، ومر بالأحساء، واستقر في حرملاء بعد انتقال والده إليها. ثم أعلن دعوته بعد وفاة والده سنة ١١٥٣ هـ^(٤)، «واشتد في إنكاره مظاهر الشرك والبدع، وجدّد في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وبذل النصيحة للنخاص والعام، ونشر شرائع الإسلام، وجدّد سنة محمد ﷺ، ولم يخش في الحق لومة لائم، وحذّر الناس، والعلماء منهم خاصة»^(٥). فتوافد عليه الناس من بعض بلدان نجد يطلبون العلم عليه ولازموه^(٦). «وانقسم الناس فيه فريقين: فريق تابعه وبايعه وعاهده على ما دعا إليه، وفريق عاداه وحاربه وأنكر ذلك عليه، وهم الأكثر»^(٧).

(١) تاريخ نجد، حسين بن غنام، تحقيق د. ناصر الدين الأسد، ط٤، (بيروت والقاهرة، دار الشروق، ١٤١٥ هـ)، ص ٨١؛ وعنوان المجد في تاريخ نجد، عثمان بن عبد الله بن بشر النجدي، تحقيق عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ، ط٤، (الرياض، دار الملك عبد العزيز، ١٤٠٢ هـ)، ١/١٨٠؛ وحاشية المحقق ٢.

(٢) تاريخ نجد، ص ٨١؛ وعنوان المجد في تاريخ نجد ١/٣٣.

(٣) عنوان المجد في تاريخ نجد ١/١٨١.

(٤) تاريخ نجد، ص ٨١-٨٣؛ وعنوان المجد في تاريخ نجد ١/٣٣-٣٧.

(٥) تاريخ نجد، ص ٨٣.

(٦) المرجع السابق، ص ٨٤.

(٧) نفسه.

انتقل الشيخ إلى العيينة، واستمر في دعوته، وناصره رئيسها عثمان بن حمد بن معمر^(١)، وأزال مظاهر الشرك ووسائله التي حول البلدة. فلما شاع ذلك وانتشر، وتناقلته الركبان، أنكرته بعض القلوب المريضة، وقالوا مثلما قال الأولون: ﴿أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾^(٢)، فتجمعوا على رده، والانكار عليه، ومخاصمته ومحاربته، وكاتبوا بعض الأقاليم يؤلبون أهلها عليه، والشيخ صابر على ما يواجهه من ذلك. وزاد موقف أعدائه حدة بعد أن أقام حدًا على امرأة اعترفت بالزنى، واكتملت فيها شروط إقامة الحد الشرعية. ولما كثرت الضغوط على عثمان بن معمر، أمر الشيخ محمد بن عبد الوهاب بالخروج من العيينة^(٣).

فخرج إلى الدرعية سنة ١١٥٧هـ، وقابله أميرها محمد بن سعود^(٤)، وعرض عليه الشيخ نصرة دعوته، التي هي دعوة الرسول ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم^(٥)، «فبسط الأمير محمد يده وبايع الشيخ الشيخ على دين الله ورسوله والجهاد في سبيله، وإقامة شرائع الإسلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»^(٦).

فاستمر ينشر هذه الدعوة في البلدان بالحكمة والموعظة الحسنة، فمنهم من قبلها، ومنهم

(١) قُتل سنة ١١٦٣هـ في بلدته العيينة، بعد أن ظهر منه الشقاق والخلاف، وتكرر منه الغدر والمكر بأنصار دعوة الشيخ. تاريخ نجد، ص ٨٨؛ وعنوان المجد في تاريخ نجد ١/٦٠.

وكان الغالب في سيرته النصرة للدعوة قبل انتقال الشيخ إلى الدرعية وبعد انتقاله رحمهم الله. ينظر: الإمام محمد بن سعود وجهوده في تأسيس الدولة السعودية الأولى، د. عبد الرحمن بن علي العريني، (الرياض، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة، ١٤١٩هـ)، ص ١٠٠-١١١.

(٢) سورة ص، الآية: ٥.

(٣) تاريخ نجد، ص ٨٤-٨٦؛ وعنوان المجد في تاريخ نجد ١/٣٨-٤٠.

(٤) تولى حكم الدرعية عام ١١٣٩هـ، وكانت مدة حكمه أربعين سنة. أولاده: فيصل، وسعود، وعبد العزيز، وعبد الله. توفي عام ١١٧٩هـ، وعهد بالإمامة لابنه عبد العزيز. عنوان المجد في تاريخ نجد ١/٩٩؛ وحاشية المحقق ١.

(٥) تاريخ نجد، ص ٨٦-٨٧؛ عنوان المجد في تاريخ نجد ١/٤١-٤٣.

(٦) تاريخ نجد، ص ٨٧؛ وينظر: عنوان المجد في تاريخ نجد ١/٤٢.

من ردها وكفّروه وأصحابه، وأباحوا دماءهم؛ فلم يجد الشيخ سوى إعلان الجهاد في سبيل الله تعالى؛ لإزالة الشرك ونشر التوحيد^(١).

«فنصر السنة، وعظمت به من الله المنه، بعد أن كان الإسلام غريباً، فقام بهذا الدين ولم يكن في البلاد إلا اسمه، فانتشر في الآفاق وكل أمر أخذ منه حظه وقسمه... وهدم المسلمون ببركة علمه جميع القباب والمشاهد التي بنيت على القبور وغيرها من جميع المواضع المضاهية لأوثان المشركين في أقاصي الأقطار من بلاد الحرمين واليمن وتهامه وعمان والأحساء ونجد وغير ذلك من البلاد... وكفى بفضله شرفاً ما حصل بسببه من إزالة البدع، واجتماع المسلمين، وإقامة الجماعات والجمع، وتحديد الدين بعد دروسه، وقلع أصل الشرك بعد غروسه»^(٢).

«فعمرت نجد بعد خرابها، وصلحت بعد فسادها، واجتمعت بعد افتراقها، وحقنت الدماء بعد إهراقها، ونال الفخر والفضل والملك من نصره وآواه، وملك حتى الحرمين الشريفين، واليمن وأقصى عُمان وما دونه وما وراءه. وهكذا كل من نصر الشريعة من قديم الزمان تكون له الغلبة على من عاداه»^(٣).

«وكان رحمه الله هو الذي يجهز الجيوش، ويبعث السرايا على يد محمد بن سعود رحمه الله، ويكتب أهل البلدان ويكاتبتهم، والوفود إليهما والضيوف عنده، وصدور الأوامر من عنده حتى أذن أهل نجد وتابعوا على العمل بالحق»^(٤).

«وكان له مجالس عديدة في التدريس، كل يوم وكل وقت، في التوحيد والتفسير والفقه وغيرها. وانتفع الناس بعلمه»^(٥).

توفي محمد بن عبد الوهاب رحمه الله عام ١٢٠٦ هـ، وله من العمر نحو ٩٢ عاماً^(٦).

(١) ينظر: تاريخ نجد، ص ٨٨-٨٩، ٩٥-١٧٩؛ وعنوان المجد في تاريخ نجد ٤٥/١.

(٢) عنوان المجد في تاريخ نجد ١٨٢/١-١٨٤.

(٣) المرجع السابق ١٨٤/١.

(٤) نفسه.

(٥) نفسه ١٨١/١.

(٦) تاريخ نجد، ص ٩٠؛ وعنوان المجد في تاريخ نجد ١٨٠/١.

ولم تُعن (راند) بدراسة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب دارسة علمية، بل تناولتها بعض الدراسات بصورة جزئية، وأشارت إليها دراسات أخرى. وتتناول الفقرات التالية أهم ذلك.

١- نعت دعوة الشيخ بـ(الوهابية):

أول قضية في دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: نعتها بـ(الوهابية) (Wahhabism)^(١)، تبعت فيه (راند) الباحثين والكتاب الغربيين.

يقول أ.د. ناصر العقل: وهو نعت اشتهر «عند غير أهلها، وعند الجاهلين بحقيقتها... انطلق أولاً من الخصوم، وكانوا يطلقونه على سبيل التنفير واللمز والتعير، ويزعمون أنه مذهب مبتدع في الإسلام أو مذهب خامس. وهذا ظلم. فهي ليست سوى الإسلام والسنة كما جاء بها النبي ﷺ وسار عليها السلف الصالح»^(٢).

ويقول د. عبد الله العثيمين: «وكان الهدف الواضح من إطلاقها تنفير الناس عن اتباع ما نادى به، بل إنهم يهدفون بذلك إلى الإيحاء بأن الشيخ يدعو إلى دين جديد، أو على الأقل مذهب خامس لا يتفق مع المذاهب السنية الأربعة»^(٣).

ويقول د. محمد الشويعر: «هذا الاصطلاح جاء من باب التنفير، حيث حركت ذلك اللقب ودعت إليه بعض الطرق الصوفية ومصالحها، أو الرغبة في تفكيك المسلمين ومباعدتهم عن دينهم الحقيقي حسب منهج رسول الله وخلفائه الراشدين. فوافق ذلك هوى في نفوس أعداء الدين الإسلامي، الحريصين على تفكيك وحدة المسلمين، وتفتيت ما بين أبناء الإسلام من أواصر ومحبة يدعو إليها دينهم»^(٤)؛ فسعوا إلى «غرس بذور الشر بينهم، لأنهم أدركوا ووعوا

(١) The Muslim World after 9/11. P. 80 ؛ More Freedom, Less Terror? P. 103 ؛
Unfolding the Future of the Long War. Appendix A. P. 137.

(٢) إسلامية لا وهابية، أ.د. ناصر بن عبد الكريم العقل، (الرياض، دار الفضيلة، والمنصورة/مصر، دار الهدى النبوي، ١٤٢٨هـ)، ص ٧.

(٣) "النمطية الغربية في عرض الوهابية"، عبد الله بن صالح العثيمين، مجلة الفيصل، ع ٤٢٧-٤٢٨،
محرم-صفر/١٤٣٣هـ، ص ٧.

(٤) تصحيح خطأ تاريخي حول الوهابية، د. محمد بن سعد الشويعر، ط ٢، (الرياض، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ١٤١٣هـ)، ص ٢٠.

خطر ما ترمي إليه الدعوة الصحيحة لدين الإسلام، وإذكاء الحماسة الدينية لدى المسلمين، على مصالحهم وسيطرته على ديار الإسلام»^(١).

ويقول مسعود الندوي^(٢) رحمه الله: «إن دعوة الشيخ التي تسمى (الوهابية) ليست شيئاً جديداً. فإنه لا يقدم شيئاً غير التعليم الصحيح للكتاب والسنة، إلا أن دعوته أُسيئت سمعتها بين الناس باسم (الوهابية) للأغراض السياسية. وكأنها دعوة إلى دين غير الإسلام»^(٣).

ويقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: «وأخبرك أبي - والله الحمد - متبع ولست بمبتدع، عقيدتي وديني الذي أدين الله به مذهب أهل السنة والجماعة، الذي عليه أئمة المسلمين مثل الأئمة الأربعة وأتباعهم إلى يوم القيامة»^(٤) هـ.

وإذا كانت دعوة الشيخ هي دعوة الكتاب والسنة، وهي الإسلام الحق الذي جاء به النبي ﷺ، وهي منهج السلف الصالح من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين ومن سلك سبيلهم، فلا معنى لإفرادها باسم أو وصف كـ(الوهابية) أو غيره. وإن حصرها تحت مسمى مخصوص خطأ فادح، وبدعة مردودة^(٥).

يقول مسعود الندوي رحمه الله: «إن من أبرز الأكاذيب على دعوة شيخ الإسلام تسميتها (بالوهابية)، ولكن أصحاب المطامع حاولوا من هذه التسمية أن يثبتوا أنها دين خارج عن

(١) المرجع السابق، ص ٢٦-٢٧؛ وينظر: تأملات في دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، (الرياض، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤١٩هـ)، ص ١٥٨.

(٢) باحث إسلامي باكستاني، من كبار العاملين في الدعوة إلى الإسلام ونشر اللغة العربية، توفي عام ١٣٧٣هـ. الأعلام ٢٢١/٧.

(٣) شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: مصلح مظلوم ومفتري عليه، مسعود الندوي، ترجمة د. عبد العليم عبد العظيم البستوي، (الرياض، دار الداعي للنشر والتوزيع، ١٤٢٤هـ)، ص ١٣٣.

(٤) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب: القسم الخامس: الرسائل الشخصية، تحقيق صالح بن فوزان الفوزان، ومحمد بن صالح العليقي، (الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، د.ت)، ص ٣٦.

(٥) إسلامية لا وهابية، ص ٧، ٣٧.

الإسلام. واتحد الإنجليز والأتراك والمصريون فجعلوها (شبحاً مخيفاً)، بحيث كلما قامت أي حركة إسلامية في العالم الإسلامي في القرنين الماضيين ورأى الأوروبيون فيها خطراً على مصالحهم ربطوا حبالها بالوهابية النجدية؛ فالحركة السنوسية^(١) في المغرب تناقض الدعوة النجدية في الفروع الفقهية^(٢)، ولكن مع ذلك يقال إنها نتيجة لدعوة شيخ الإسلام. وهذا بسبب أن الحركة السنوسية ما زالت خطراً على الطليان بسبب أعمالها في سبيل الجهاد مدة طويلة. وكذلك حركة التجديد والإمامة في الهند، قد ألحقت بنجد إلحاقاً حتى زعم أهلها فضلاً عن الآخرين أنهما واحدة. ولا شك أن المأخذ الأصلي (الكتاب والسنة) واحد، ولكن توجد فروق واضحة في أساليب الدعوة وطرقها مع توافقهما في الأصول^(٣).

وهذا يؤكد على أن كل دعوة تقوم على الكتاب والسنة وتحاول أن تلتزم بهما ينتحل لها الأعداء مصطلحاً ووصفاً يجعلها تشبه به. كما قال المجاهد الجزائري محمد البشير الإبراهيمي (ت ١٣٨٥هـ) - بعد أن أثنى على دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بأنها قائمة على الكتاب والسنة -: "تنسبوننا إليهم تحقيراً لنا ولهم، وإزراءً بنا وبهم، وإن فُرقت بيننا وبينهم الاعتبار، فنحن مالكيون برغم أنوفكم، وهم حنبلية برغم أنوفكم، ونحن في الجزائر، وهم في الجزيرة، ونحن نُعمل في طريق الإصلاح الأقاليم، وهم يُعلمون فيها الأقدام، وهم يُعملون في الأضرحة المعاول، ونحن نُعمل في بانيها المَقاول"^(٤).

ويقول: وهم يتخذون من هذه الأسماء المختلفة أدوات لتنفيذ العامة وإبعادها، وأسلحة يقاتلون بها^(٥). هـ.

(١) "السنوسية: دعوة إسلامية إصلاحية صوفية، تصدت للاحتلال الإيطالي في ليبيا، وعمت مراكزها الدينية شمال أفريقيا والسودان والصومال، وبعض البلدان". نشأت في القرن الثالث عشر الهجري. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب ١/٢٨٧.

(٢) أي: تخالفها في المذهب الفقهي، باعتمادها المذهب المالكي.

(٣) شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، ص ١٤٧.

(٤) "تعالوا نسائلكم"، جريدة السنة النبوية المحمدية، جريدة جزائرية أسبوعية، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، قسنطينة، ٩٤، ١١/٢/١٣٥٢هـ، ص ٦، (جمعتها في مجلد دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٣م).

(٥) المرجع السابق، ص ٣.

وإذا كان الغربيون قد أطلقوا (الأصولية) و(التطرف) لأهداف، منها: تصنيف صنف من المسلمين بأنه (أصولي) أو (متطرف)؛ لتحريك صنف آخر يصنّف بأنه (معتدل)، يقوم الغرب بمساندته ودعمه، ليقف ضد الصنف الأول ويفتح ساحة صراع معه، ويكون معول هدم لأصول الإسلام. فإطلاقهم (الوهابية) مع ما تبين لهم من أنها منهج الكتاب والسنة، يسير في نفس الهدف من إطلاق (الأصولية) و(التطرف). بل قد جعلت إحدى دراسات (راند) (الوهابية) الأساس لعدد من الحركات (الأصولية المتطرفة)^(١). وهذا يؤكد الهدف المشار إليه. ويؤكدده أيضاً الطريقة التي يبحث فيها بعض خبراء (راند) في شأن دعوة الشيخ، فأحياناً عندما تُعرض يبحث الخبير عن المعارضين لها، ممن يمكن أن يُكوّنوا قوة تحاربها وتقف ضدها، فيذكرون النسبة المئوية التي تتمتع بها الفئة المعارضة، ومدى قوة معارضتها^(٢).

يقول أ.د. ناصر العقل: "وقد توسعت بعض وسائل الإعلام والاتجاهات الغربية ومن دار في فلكها بإطلاق (الوهابية) على كل مسلم ينزع إلى التمسك بشعائر الدين وأحكامه، وربما تُرادف عندهم عبارة (أصولي) أو متزمت أو متشدد، والمتمسك بالدين عندهم : متشدد. وبعض المؤسسات والدوائر الغربية ومن تأثر بها صارت عندهم (الوهابية) مترادف: التطرف، والإرهاب، والعنف، والعدوانية. ونحو ذلك"^(٣) أ.هـ.

وبذلك -بحسب رأي الباحث- يدخل نعت (الوهابية) ضمن حرب المصطلحات، في إطار الحرب الفكرية، أو تمهيداً لإطلاقها حرباً عسكرية.

وإن كان قد ظهر من أنصار دعوة الشيخ والمتعاطفين معها من يستخدم لفظ (الوهابية)، من باب التجويز اللغوي، إلا أنه في ظل تلك المقاصد التي يسعى إليها أعداء الدعوة من إطلاقهم (الوهابية) فإن ترك استعمالها أمر مؤكّد^(٤).

(١) The Muslim World after 9/11. P. 80

(٢) ينظر: The Muslim World after 9/11. P. 28-30, 100

(٣) إسلامية لا وهابية، ص ٣٨.

(٤) ينظر: "النمطية الغربية في عرض الوهابية"، عبد الله بن صالح العثيمين، مجلة الفيصل، ع ٤٢٧ -

٤٢٨، محرم-صفر/١٤٣٣هـ، ص ٧، ٩.

٢- دعوة الشيخ رحمه الله:

تقول دراسة (العالم الإسلامي بعد ٩/١١): تأسس (المذهب الوهابي) على المدرسة الحنبلية في الفقه الإسلامي، وتميز باعتماده على النصوص الأصلية للقرآن، والحديث، والسنة^(١). وكان للتراث الحنبلي لابن تيمية تأثير رئيس على محمد بن عبد الوهاب، وصار ذلك التراث مصدر الإلهام لفكر (الأصوليين)، و(الأصوليين المتطرفين). وتبنى ابن تيمية التفسير الحرفي للكتاب والسنة، وعارض جميع أنواع البدعة^(٢).

ويقول خبير (راند) (ديفيد آرون): سعى محمد بن عبد الوهاب إلى إحياء (الأصولية الإسلامية)، التي كان يدعو إليها ابن تيمية قبل أكثر من ٤٠٠ عام مضت. وارتكزت عقيدته على مفهومي رئيسين: تحقيق التوحيد، ونبد الشرك. وتولى مهام نشر هذه العقيدة لكافة المجتمع الإسلامي^(٣).

ويقول: يصر (الوهابيون) و(الأصوليون) الآخرون على أن الإسلام الحقيقي الوحيد هو ما كان يمارسه محمد وأتباعه الأوائل: السلف؛ ولذلك يطلقون أحياناً على أنفسهم: السلفيين^(٤). ليست دعوة الشيخ مذهباً - كما مر في مناقشة الفقرة السابقة - ولكن تقوم دعوته على اتباع مذهب الإمام أحمد بن حنبل في الفقه، يقول الشيخ رحمه الله: «وأما مذهبنا فمذهب الإمام أحمد بن حنبل - إمام أهل السنة - في الفروع والأحكام، ولا ندعي الاجتهاد. وإذا بان لنا سنة صحيحة عن رسول الله ﷺ عملنا بها، ولا نقدم عليها قول أحد، كائنًا من كان، بل

(١) هكذا: "the Quran, the hadith, and the sunna". ومن المعلوم أن الحديث والسنة شيء واحد.

وهو دليل على ندرة المستشرقين العالمين بعلوم الشرق في الاستشراق الحديث.

(٢) The Muslim World after 9/11. P. 100

(٣) In Their Own Words: Voices of Jihad. P. 49

(٤) المرجع السابق: P. 4

نتلقاها بالقبول والتسليم؛ لأن سنة رسول الله ﷺ في صدورنا أجل وأعظم من أن نقدم عليها قول أحد»^(١).

وتقديم كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ على كل أحد هو منهج سائر علماء الأمة المشهود لهم بالعلم والفقه، من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين والفقهاء الأربعة ومن بعدهم رحمهم الله. فليس ما ذهب إليه الشيخ بالأمر الجديد، ولا بالمبتدع. ولا يسمى هذا (أصولية)، ولا (تطرفاً)، ولا (وهاية)، ولا غيرها من النعوت والأوصاف المغرضة، بل هو اتباع. ذكر ابن القيم رحمه الله: أن من أصول الإمامة في الدين: «هدايتهم بما أمر به على لسان رسوله ﷺ لا بمقتضى عقولهم، وآرائهم، وسياساتهم، وأذواقهم، وتقليد أسلافهم بغير برهان من الله، لأنه قال: ﴿يَهْدُونَكَ يَا مَرْيَمُ﴾»^(٢). «وفي ذلك دليل على اتباعهم ما أنزل الله على رسوله، وهدايتهم به وحده، دون غيره من الأقوال والآراء والنحل والمذاهب، بل لا يهدون إلا بأمره خاصة»^(٣).

من أسباب الموقف المناوئ لدعوة الشيخ رحمه الله: أنها دعوة سلفية، قامت على الانقياد الكامل للكتاب والسنة؛ حيث السمع والطاعة لهما، والتزام الثوابت التي فيهما بلا تأثر بتغيرات الأحوال أو الأزمان؛ وهذا لا يتلاءم مع أصحاب الأهواء والمطامع، بل يريدون منهجاً يتلاءم مع ما يريدون، ويحقق لهم من المصالح ما إليه يطمحون. ﴿وَلَوْ أَتَبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾^(٤).

(١) الدرر السنية في الأجوبة النجدية: مجموعة رسائل ومسائل علماء نجد الأعلام من عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى عصرنا هذا، جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي، ط ٦، (د.م)، د.ن، ١٤١٧هـ، ١/٥٧٧.

(٢) سورة السجدة، من الآية: ٢٤.

(٣) رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه، ص ١٩.

(٤) المرجع السابق، ص ٢٦.

(٥) سورة المؤمنون، الآية: ٧١.

قد يُستنتج من كلام (آرون) في ربطه دعوة الشيخ بدعوة ابن تيمية -رحمهما الله- أن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب دعوة جديدة ليست ذات صلة بدعوة النبي ﷺ، وهذه مغالطة؛ فإن الركيزتين اللتين أشار إليهما في دعوة الشيخ (تحقيق التوحيد، ونبذ الشرك) هما دعوة الأنبياء كافة، فليست خاصة بالشيخ ولا بابن تيمية رحمهما الله، ولا بنينا ﷺ، بل هي دعوة جميع الأنبياء عليهم السلام، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾^(١). ﴿فِي كُلِّ أُمَّةٍ﴾ ، أي: في كل قرن وطائفة رسولاً، وكلهم يدعون إلى عبادة الله وينهون عن عبادة ما سواه^(٢). وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾^(٣). وقال تعالى: ﴿وَسَلِّ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يَعْْبُدُونَ﴾^(٤).

يقول مسعود الندوي عن الشيخ -رحمهما الله-: «وإنه يستدل في بعض الأحيان بأقوال الإمام ابن تيمية والإمام ابن القيم إلا أنه لم يعلق ريقة تقليدهما في عنقه. فإنه يقتدي بابن تيمية وابن القيم حيث وافقا الكتاب والسنة حسب علمه. ولكنه يجب ذلك الإمام أو العالم؛ لأنه يسعى إلى العمل بالكتاب والسنة على وجه تام»^(٥).

وقد ردَّ الشيخ بنفسه تهمة اتباعه المطلق لابن تيمية أو غيره من العلماء رحمهم الله، فقال: «ولست -والله الحمد- أدعو إلى مذهب صوفي، أو فقيه، أو متكلم، أو إمام من الأئمة الذين أعظمهم، مثل: ابن القيم، والذهبي، وابن كثير، وغيرهم. بل أدعو إلى الله وحده لا شريك له، وأدعو إلى سنة رسول الله ﷺ التي أوصى بها أول أمته وآخرهم»^(٦).

(١) سورة النحل، من الآية: ٣٦.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٥٨٩/٢.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٢٥.

(٤) سورة الزخرف، الآية: ٤٥.

(٥) شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، ص ١٣٤-١٣٥.

(٦) تاريخ نجد، ص ٢١١.

وقال رحمه الله: «وعندنا أن الإمام ابن القيم وشيخه [ابن تيمية] إماما حق من أهل السنة، وكتبهم عندنا من أعز الكتب، إلا أنا غير مقلدين لهم في كل مسألة، فإن كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا نبينا محمداً ﷺ، ومعلوم مخالفتنا لهما في عدة مسائل»^(١).

يقول خبير (راند) (آرون): واستطاع ابن عبد الوهاب أن يتحالف مع الأمير محمد بن سعود أمير الدرعية؛ وبذلك قدّم ابن عبد الوهاب العقيدة والدين أساساً لسعي ابن سعود لتوحيد القبائل العربية^(٢).

إن توحيد القبائل على أساس دين الله تعالى هو من مقاصد الشريعة الإسلامية، وليس خارجاً عنها، وما فعله ابن سعود - رحمه الله - هو مندرج تحت هذا. ولقد كانت دعوة النبي ﷺ أساساً لتوحيد الناس وجمعهم على كلمة التوحيد، فما قام به ابن سعود رحمه الله موافق لما قام به النبي ﷺ. وتوسّع رقعة الإسلام جاء تبعاً لدعوة الإسلام، ولم تأت الدعوة تبعاً للهدف التوسعي، وهذا فرق جوهري.

يقول د. عبد الرحمن العريني: «حرص الإمام محمد بن سعود على تحقيق أهداف الجهاد في الإسلام في محاولته نشر الدعوة وتوحيد نجد بداية لتوحيد معظم أقاليم الجزيرة العربية في ظل دولة إسلامية، تلك الأهداف التي لا ترمي إلى التوسيع الإقليمي بقدر ما تهدف إلى الدفاع عن عقيدة هذه الأمة بسلفيتها ومنبعها الصافي، ومحاولة تهيئة المناخ الصالح لنشر دعوة الحق، ومجاهدة من يحاول القضاء عليها بعد عرضها عليه المرة تلو الأخرى بما تحمله من معطيات خيرة»^(٣).

إلا إذا قصد (آرون): أن هدف ابن سعود رحمه الله كان سياسياً توسعياً، ولم يكن لإزالة مظاهر الشرك، ونشر العقيدة الصحيحة بين الناس، ونشر أحكام الإسلام بينهم. فهذا وإن كان من باب الحكم على النيات، فإنه أيضاً خلاف الثابت في سيرته، وطريقة منحه السلطة للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى.

(١) الدرر السنية في الأجوبة النجدية ١/٢٤٠.

(٢) In Their Own Words: Voices of Jihad. P. 49-50

(٣) الإمام محمد بن سعود وجهوده في تأسيس الدولة السعودية الأولى، ص ٩٥.

فما ورد في صفات الإمام محمد بن سعود وسيرته، يدل على بعده عن الهدف التوسعي، واقتربه من الهدف الديني الإصلاحي.

فإن من أبرز صفاته الشخصية: التدين؛ وهذا مما أهّله لتأييد دعوة الشيخ ومؤازرتها^(١)، وهو دليل على غلبة الهدف الديني الإصلاحي.

وقبل استلامه إمارة الدرعية كانت الفرصة مواتية للوصول إليها مستغلاً خلافاً نشأ بين أميرين، لكنه لم يفعل بل سعى إلى الإصلاح بينهما^(٢).

وبقي ابن سعود بعد أن تسلم الإمارة تسعة عشر عاماً قبل قدوم الشيخ، فلم تظهر منه أطماع توسعية خلالها.

وانتهاجه سياسة السلم وحسن العلاقة مع جيرانه، والنأي عن النزاعات التي تدور بين الإمارات حوله، بل ومد يد العون إلى أمرائها للقضاء على الفتن وقطع النزاع^(٣)، كل ذلك أمر لا يتوافق مع الهدف التوسعي.

كما أنه لم يبادر بطلب قدوم الشيخ ابن عبد الوهاب من العيينة، بل جاء الشيخ بنفسه. وينفي الهدف التوسعي: طريقة منح ابن سعود السلطة لابن عبد الوهاب فإن ابن سعود قد جعل إمارة الدين وما يتعلق بها من المصالح الأخرى كتدبير الحرب والصلح والأمور الخارجية، والتدريس، والقضاء، والإفتاء، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله^(٤). ولو كان هدفه التوسع السياسي لجعل مرجع أمور الحرب والشؤون الخارجية إلى نفسه، ولم يجعلها إلى الشيخ.

يقول مؤرخ الدعوة رحمه الله: "وقد بقي الشيخ بيده الحل والعقد، والأخذ والإعطاء، والتقدم والتأخير، ولا يُركب جيش ولا يُصدر رأي من محمد بن سعود ولا من ابنه عبد

(١) ينظر: المرجع السابق، ص ٥٧.

(٢) ينظر: نفسه.

(٣) نفسه، ص ٦٠-٦١.

(٤) ينظر: حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، حسين خلف الشيخ خزعل، تحقيق أحمد بن عبد العزيز

التويجري، (الرياض، دار الثلوثة للنشر، ١٤٣١هـ)، ص ٣٨٤.

العزیز^(١) إلا عن قوله ورأيه. فلما فتح الله الرياض... واتسعت ناحية الإسلام، وأمنت السبل، وانقاد كل صعب من باد وحاضر، جعل الشيخ الأمر بيد عبد العزيز بن محمد بن سعود، وفوض أمور المسلمين وبيت المال إليه، وانسلخ منها، ولزم العبادة وتعليم العلم، ولكن عبد العزيز لم يكن يقطع أمرًا دونه، ولا ينفذه إلا بإذنه^(٢).

٣- المملكة العربية السعودية (وهابية):

يقول خبير (راند) (آرون): وبعد قرن جاء من نسل محمد بن سعود، عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، فاستطاع أن ينجح في توحيد معظم شبه الجزيرة العربية عام ١٩٣٢م [الموافق لعام ١٣٥١هـ] بمساعدة البريطانيين، وسمي هذا البلد في وقت لاحق المملكة العربية السعودية. وأصبح (المذهب الوهابي للإسلام الأصولي) دين الدولة، ولا يزال كذلك حتى اليوم. ويسمي أتباع (الطائفة الوهابية) أنفسهم: السلفيين. اكتسبت (الحركة الوهابية) دفعة قوية بسبب الثروة العائدة من النفط في المملكة العربية السعودية، فصارت الحكومة والأثرياء السعوديون يمولون المساجد والمدارس (الوهابية) في جميع أنحاء العالم الإسلامي^(٣). هـ. وتقول دراسة (العالم الإسلامي بعد ٩/١١): «وبعد تأسيس المملكة العربية السعودية عام ١٩٣٢م كوّنت (الوهابية) الأسس الشرعية لأسرة آل سعود بصفتهم حماة للأماكن المقدسة وحكامًا للدولة»^(٤).

وتقول: «الشكل الوهابي كان يمثل التفسير الرسمي للإسلام في السعودية منذ تأسيس النظام الملكي السعودي»^(٥).

(١) تولى الإمارة بعد وفاة والده سنة ١١٧٩هـ، وكان كثير الخوف من الله، والذكر له، أمرًا بالمعروف، ناهيًا عن المنكر، عادلاً، رحيماً، كريماً، متواضعاً، شديداً على الظلمة وقطاع الطرق. اطمأنت الأقطار في زمنه، وهنأ عيشها. قتله كردي جاء من العراق لهذا القصد، وهو ساجد في صلاة العصر في مسجد بالدرعية سنة ١٢١٨هـ، رحمه الله. ينظر: عنوان المجد في تاريخ نجد ٢٦٤/١-٢٦٨.

(٢) تاريخ نجد، ص ٨٩-٩٠؛ وينظر: عنوان المجد في تاريخ نجد ٤٦/١-٤٧.

(٣) In Their Own Words: Voices of Jihad. P. 50

(٤) The Muslim World after 9/11. P. 101

(٥) المرجع السابق: P. 41

بدأ يظهر توجه خبراء (راند) إلى عقيدة المملكة العربية السعودية ومنهجها الإسلامي، بعد سقوط الاتحاد السوفييتي مباشرة، وازداد بعد أحداث ١١/سبتمبر؛ وهذا يؤكد أن الغرب نقل عداوته بعد سقوط الاتحاد السوفييتي إلى الإسلام.

ففي عام ١٤١٢هـ/١٩٩١م قدّم (فولر) المملكة العربية السعودية بصفتها ملهمة وقُدوة لكل حكومة إسلامية ناشئة تريد أن تطبّق الإسلام في شؤونها^(١). ويشير إلى أن (الإسلام الوهابي) في المملكة العربية السعودية يتصف بـ(التزمت)^(٢).

ويصف جماعة (أهل الحديث)^(٣) في باكستان بأن مبدأهم يقوم على العودة إلى أصول القرآن وتعاليم النبي؛ لأنهم متأثرون بـ(الفكر الوهابي الأصولي السعودي)^(٤).
وتصف دراسة (حرية أكثر، إرهاب أقل؟) المنشورة عام ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، المملكة العربية السعودية بأنها مؤسسة على العقيدة (الوهابية)، وبمعنى أدق: السلفية، المثيرة للجدل بأنها تعزز قواعد التعصب والتشدد^(٥).

وتقول دراسة (العالم الإسلامي بعد ٩/١١): على العكس من مصر ودول الخليج التي لم تسمح نسبياً للعديد من الحركات الإسلامية بالعمل علناً، فإن المملكة العربية السعودية أقرت (الحركة الوهابية الأصولية)، ولقرنين ونصف يعد التكافل بين أنصار (الوهابية) وأسرّة آل سعود الحاكمة العنصر الأساس للتأثير في الساحة الإسلامية في الشرق الأوسط وأماكن أخرى من العالم الإسلامي^(٦).

(١) Islamic Fundamentalism in Pakistan. P. 38

(٢) المرجع السابق: P. 6

(٣) أقدم الحركات الإسلامية في شبه القارة الهندية، قامت على الدعوة لاتباع الكتاب والسنة وفهمهما على ضوء منهج السلف الصالح. تتركز في الهند وفيها مقرها الرئيس، وباكستان، وبنجلاديش، ونيبال، وكشمير، وسري لانكا. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب ١/١٦٩، ١٧٩.

(٤) Islamic Fundamentalism in Pakistan. P. 8

(٥) More Freedom, Less Terror? P. 103

(٦) The Muslim World after 9/11. P. 99

وتقول: (الحركة الوهابية) -إلى حد ما- غير متسامحة مع بعض الطوائف الأخرى، كالشيعة والصوفية ونحوهما؛ بما أدى إلى اضطرابات في المجتمع السعودي، وما يزال جزء من الأقلية الشيعية ملزمين بقوانين بعض مدارس السنة، فتفسيرات (الوهابيين) الحنابلة للشرعية هي الوحيدة التي يجري تطبيقها^(١).

لا تُعدُّ دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب حركة معارضة، ولا مذهباً، ولا طائفة، بل هي دعوة الكتاب والسنة، تعمل مختلطة بالهيكل الحكومي، وهو ما ميز المملكة على مستوى العالم الإسلامي، فجعلها دولة دينية سنية سلفية.

«ولما مكن الله للملك عبد العزيز من تقلد مهام الأمور في البلاد، كان أول اهتماماته تقرير العقيدة السلفية ونشرها بين الناس، والذب عن حياضها، واعتبرها القاعدة الرئيسة في حياة المسلمين، وذلك لأن تصحيح العقيدة هو الأساس، فشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ هي أول أركان الإسلام... وما من شك أن العقيدة السلفية الصحيحة التي تدعو إلى عبادة الله وحده، وترك البدع والخرافات، فإنها تدعو أيضاً إلى المحبة والتآلف بين القلوب واجتماع الكلمة ووحدة الصف، وعدم التنازع والتفرق، وهذا ما يدعو إليه الكتاب والسنة في كثير من الآيات والبيانات والأحاديث الصحيحة»^(٢).

«إن تصحيح العقيدة، واتخاذ المنهج السليم القائم على الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح، وإخلاص العمل له وحده، وتجريد المتابعة لنبيه ﷺ لهي من أعظم الأسباب التي تحقق للمسلمين ألفتهم، وتوحد صفوفهم، وتعينهم على لزوم الجماعة التي أمروا بها»^(٣).

كما أن السماح للفرق المخالفة بالتمدد والانتشار يناقض ذلك تماماً؛ فإنها توقع الفتنة بين المسلمين، وتفرق صفهم، وتجعلهم شيعاً وأحزاباً. ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾^(٤).

(١) المرجع السابق: P. 100

(٢) أثر الدعوة السلفية في توحيد المملكة العربية السعودية، أ.د. حمود بن أحمد الرحيلي، ط ٢، (المدينة المنورة، مكتبة دار العلوم والحكم، ١٤٢٤هـ)، ص ٧٣-٧٤.

(٣) المرجع السابق، ص ١١٠.

(٤) سورة الأنعام، من الآية: ١٥٣.

والمنصف يعلم وسطية المنهج السلفي، وأن وصفه بـ(التزمت)، أو (التعصب)، أو (التشدد)، أو (الأصولية)، أو (الوهابية)، ونحو ذلك، ما هو إلا لتشويهه وتنفير الناس منه، ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(١).

ومن درس دعوة الشيخ ونتائجها تأكد له سلامتها من ذلك، يقول أ.د. ناصر العقل: وقد تبين بالدليل والبرهان أن ما يزعمه خصومها بأن الشيخ وأتباعه جاؤوا ببدعة من الدين، أو مذهب خامس، أو أنهم متشددون ومتزمتون، ونحو ذلك من المفتريات، إنما هو من البهتان، لأن حقيقة الدعوة ومنهجها وواقعها يدل على خلاف ما يزعم خصومها والجاهلون بحقيقتها^(٢).

ومن أهداف تشويه دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: محاولة منع تأثير دعوة الكتاب والسنة على الناس، حتى يضلوا في جهلهم وانحرافهم وتفريطهم أو إفراطهم، يقول أ.د. ناصر العقل: «لو أن الأمة الإسلامية سلمت من تضليل الخصوم، ودعايات السوء التي حالت بينها وبين التعرف على طبيعة الحق الذي يحمله منهج هذه الدعوة التي يعيرونها بـ(الوهابية) لاستجاب كثير من المسلمين لداعي الحق، وكان للمسلمين شأن آخر من العزة والقوة الاجتماع والهيبة»^(٣).

«إن خصوم هذه الدعوة الإصلاحية المباركة إنما كانوا دائماً (في كل زمان، وكل مكان) وفي كل أمة هم خصوم الأنبياء والدعاة والمصلحين، وهم خصوم السنة وأهلها، وخصوم السلف الصالح، من أهل الأهواء، والبدع والافتراق والجهل والحسد، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ

(١) سورة الأنعام، من الآية: ١٤٤.

(٢) إسلامية لا وهابية، ص ٦٤.

(٣) المرجع السابق، ص ١٥.

جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴿١﴾، وكذلك الحال مع ورثة الأنبياء وهم العلماء الدعاة المصلحون»^(٢).

قول (آرون): «وأصبح المذهب الوهابي للإسلام الأصولي دين الدولة»، كلام مضلل، وتقتضي الموضوعية العلمية أن يقدم الوصف الصحيح السليم، فيقول: كَوَّنَ الإسلامُ الأسسَ الشرعية للنظام الأساس للمملكة العربية السعودية. فيسلم من تضليل كلمات: (المذهب)، (الوهابي)، (الأصولي).

لا شك أن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب كان لها أثر لا ينكر في العالم الإسلامي، لكن من المسلم به تاريخياً أن جماعة أهل الحديث ظهرت قبل ظهور محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، فقد عاد ظهورها في بداية القرن الحادي عشر الهجري، قبل ولادة الشيخ بما يزيد على قرن، ثم قويت في زمنه^(٣)، فهي سابقة له، وبالتالي لا يمكن أن تتأثر بدعوته. وبخاصة أنهم يتحدثون عن تأثر بالأصول الثابتة في الكتاب والسنة، وليس بالوسائل والأساليب التي قد يدخلها باب الاجتهاد وتستفيد منها بعض الدعوات والجماعات من بعض، ولا عن تأثر بالثبات والقوة تكتسبه من نجاح دعوة الشيخ. وهذا يدل على خطأ ما ذهب إليه (فولر).

ومن علماء الهند -المقر الرئيس لجماعة أهل الحديث- من ينفي تأثر الدعوات التجديدية التي ظهرت في الهند في زمن محمد بن عبد الوهاب أو بعده بقليل بدعوته^(٤).

وهذا يدل على أن خبراء (راند) يأخذون بالتشابه الظاهر بين دعوة الشيخ وبين غيره، وهو الدعوة إلى الرجوع إلى الكتاب والسنة، ولا يقومون بعمق التحليل ليدركوا أن الكل يرجع إلى منهل واحد، وهو الزمن الأول، زمن النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم.

(١) سورة الأنعام، من الآية: ١١٢.

(٢) إسلامية لا وهاية، ص ١٤٧.

(٣) ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب ١/ ١٦٩-١٧٠؛ ودعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب بين مؤيديها ومعارضيه في شبه القارة الهندية، أبو المكرم بن عبد الجليل، ط ٢، (الرياض، دار السلام للنشر والتوزيع، ١٤٢١هـ)، ص ٣٤.

(٤) ينظر: شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، ص ١٥-١٦.

وهم يقومون بنسبة تأثير دعوة أو جماعة بدعوة الشيخ ليحصلوا - كما قال الإبراهيمي رحمه الله - : على تشويه الاثنتين^(١).

وقد تقوم دعوات أو جماعات بالدفاع عن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فتُوصَف بالتأثير بها، وهذا لا يُعد دليلاً على التأثير بقدر ما يدل على استقاء المُدافع من المنهل الذي استقت منه دعوة الشيخ، فكان لزاماً عليه أن يدافع عن الحق في ظل تعرض الدعوة للتشويه؛ نصرة للحق، وذنباً عن عرض المسلم وما يدعو إليه.

إن مجرد عقد المقارنة بين المملكة العربية السعودية التي تأسست على الإسلام وتبنته في منهاجها، وغيرها من البلدان الإسلامية التي استعمرتها أوروبا ردياً من الزمن، وفرضت عليها العلمانية في نظامها السياسي والاقتصادي، وأقصت الإسلام، يُعدّ مخالفاً للمنهجية العلمية الموضوعية؛ لأنه حديث عن شيئين مختلفين اختلافاً جذرياً.

والأصل الصحيح الذي لا يمارى فيه: أن المطلوب من الشعوب والحكومات العودة إلى دين الإسلام؛ لتصح عبادة الناس التي من أجلها خلقوا، قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٢). لكن عندما يسعى الغرب إلى المطالبة بحكومات مدنية، لا تعير للدين أي وزن، من أجل تحقيق مصالحه، فلا عجب أن ينحى إلى نقد وجود الدين في الدولة وارتباطها به، ثم يشنع عليها بأوصاف من اللمز والتنقص.

التزمت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب العدل والإنصاف تجاه المذاهب الإسلامية التي ضبطت مذاهبها على أصول الإسلام، كما كانت دعوته حذرة من الفرق التي افترقت عن أصول الإسلام، فلم تنضبط مذاهبها. يقول الشيخ محمد رحمه الله: «ونحن أيضاً في الفروع على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، ولا ننكر على من قلّد أحد الأئمة الأربعة، دون غيرهم؛ لعدم ضبط مذاهب الغير، كالرافضة»^(٣).

(١) "تعالوا نسائلكم"، جريدة السنة النبوية المحمدية، ع ٩٤، ١١/٢/١٣٥٢هـ، ص ٦.

(٢) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

(٣) الدرر السنية في الأجوبة النجدية ١/٢٢٧.

وهذه الطريقة هي الطريقة الصواب، وهي من لوازم اتباع الكتاب والسنة، الذي هو منهج الشيخ رحمه الله. قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾^(٢).

فاتباع ما دل عليه الكتاب والسنة وفهمه سلف الأمة هو المنهج الصحيح، لا اتباع الأهواء وتكريس الافتراق.

٤- تحسر بعض خبراء (راند) على السماح بانتشار دعوة الشيخ في العالم الإسلامي:

تقول (بينارد): «لقد أدى الخوف من الشيعة المتطرفين في إيران إلى تحملنا لنمو التأثير الوهابي في مكان آخر»^(٣).

وتشير دراسة (العالم الإسلامي بعد ٩/١١) إلى أن الحركة الديوبندية^(٤) في الهند نشرت خلال القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي (الأصولية الوهابية)، وورثت هذا الفكر في باكستان، وانطلق إلى طالبان في أفغانستان^(٥).

كما تشير إلى تأثر بعض المصريين العاملين في السعودية بـ(الوهابية)، ونقلها إلى مصر^(٦). وتقول: هناك أدلة على الجهود السعودية المبذولة لترويج (الوهابية) بين السنة في شمال العراق، ويمكن أن يعمل التدخل السعودي في جهود إعادة البناء في مناطق السنة بصفة وسيلة

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٥٣.

(٢) سورة الأنعام، من الآية: ١٥٩.

(٣) Three Years After. P. 19

(٤) نسبة إلى جامعة (ديوبند-دار العلوم- في الهند)، تأسست سنة ١٢٨٣هـ/ ١٨٦٦م، بصفتها مركزاً للدين والشريعة في الهند في عصر الاستعمار الإنجليزي. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب ٣٠٤/١، ٣٠٧.

(٥) The Muslim World after 9/11. P. 33

(٦) المرجع السابق: P. 94

(للوهابية المتطرفة)، وقد كانت (الوهابية) تعمل في الخفاء خلال حكم صدام، ثم ظهرت إلى العلن بعد الحرب الأمريكية^(١).

لا ينكر من يقرأ التاريخ وينظر في الواقع أن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب قد عم الله بنفعها الناس إلى هذا اليوم، فلم تدرس أو يبلغ فيها الضعف على الرغم من مضي أكثر من قرنين من وفاته رحمه الله. ومع ذلك فإن من الخطأ أن يُنسب إلى دعوة الشيخ كل دعوة جديدة أو كل نظام جديد، ويترك الأصل الذي قامت عليه دعوة الشيخ والدعوة الجديدة والنظام الجديد، وهو الكتاب والسنة.

ومع أن الانتساب إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب ليس تهمة يُدافع عنها^(٢)، إلا أن وصف المملكة العربية السعودية بأنها (وهابية) وتنشر (الوهابية)، هو وصف مغرض لا ينطلق من الواقع المعاش، فليس في نظامها الأساس للحكم عبارة واحدة تفيد بهذا. فالنظام الأساس الذي أصدره الملك عبد العزيز رحمه الله عام ١٣٤٥ هـ نص على أن «جميع أحكام المملكة تكون منطبقة على كتاب الله وسنة رسوله، وما كان عليه الصحابة والسلف الصالح»^(٣).

وكان الملك عبد العزيز كلما سئل عن دستور بلاده، قال: «دستورنا القرآن»^(٤). بل وفي حديثه في المجالس عند بعض الوفود كان يقول: «أعترف أمام الله وأمام كل المسلمين بأني لا أريد إلا العودة إلى دين الإسلام الصحيح القويم... وإننا نعود في كل شيء لأحكام القرآن والسنة، ونحاول أن نعيش كما عاش الخلفاء الراشدون»^(٥).

وأقوال له متعددة ينص فيها على اتباعه الكتاب والسنة وما عليه سلف الأمة.

(١) نفسه: P. 55

(٢) تأملات في دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، ص ١٥٠.

(٣) شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، خير الدين الزركلي، ط ٥، (بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٩٢م)، ٣٥٤/١.

(٤) المرجع السابق ٣٥٣/١.

(٥) الملك الراشد، عبد المنعم الغلامي، ط ٢، (الرياض، دار اللواء، ١٤٠٠ هـ)، ص ٥٠.

«فليس الشيخ محمد زعيم فرقة، وليست هناك فرقة تسمى الوهابية، وإنما أطلق أعداء الشيخ عليه، وعلى دعوته هذه الأقوال؛ إثارة للعامة ضدها، وتشويهها لصورتها... كما أن المملكة العربية السعودية لا تعتنق مذهباً اسمه المذهب الوهابي، بل ولا تعتنق المذهب الحنبلي إلى درجة العقيدة التي تُعتنق، وإنما هو فقه من الفقه، واجتهاد من الاجتهاد، ومذهب من المذاهب الفقهية التي يؤخذ منها ويُرد، ولم يُرغم الملك عبد العزيز رحمه الله، كما لم تُرغم المملكة العربية السعودية أحدًا على مذهب من المذاهب الفقهية المعتمدة»^(١).

إن هذه الدعوة «المباركة» لم تكن في حقيقتها ومضامينها ومنهجها العقدي والعلمي والعملية، إلا معبرة عن الإسلام نفسه، مستهدفة إحياء ما اعتزى تطبيقه من قبل كثير من المسلمين من غشاوة وجهل وإعراض، بتصحيح العقيدة، وإخلاص العبادة، وإحياء السنة، ومحاربة الشريكات والبدع والمحدثات في الدين»^(٢).

ولقد كانت الصدارة المطلقة والعناية الفائقة في توزيع الكتب الذي قامت المملكة العربية السعودية خلال العقود القليلة الماضية على المسلمين في العالم: لكتاب الله تعالى. وهذا دليل دامغ لكل من أراد أن يشوه المنهج الذي تدعو إليه المملكة، وهو الدعوة إلى الكتاب والسنة. فليست دعوتها إلى (وهابية) ولا إلى (تشدد وتطرف وغلو).

لقد علم خبراء (راند) وكثير من الغربيين أن مواجهة الإسلام والمسلمين باستهداف الإسلام مباشرة دون تورية، أمر لا يمكن له النجاح، ولن يحصلوا على تأييد لهم من المسلمين؛ فتحولوا إلى التورية والخداع، فيهاجمون الإسلام بمصطلحات وعبارات وأمثلة تحمل في طياتها التشويه والتنفير؛ فتارة يهاجمون الإسلام باسم (الأصولية)، وتارة باسم (التطرف)، وتارة باسم (الإرهاب)، وتارة باسم (الوهابية)؛ لأن هذه المصطلحات لا تمثل جميع المسلمين، ولا يستخدمها الناس بديلة عن الإسلام.

يقول د. محمد الشويعر: «كما هي عادة أعداء الإسلام، لا يدخلون في المواجهة مع الإسلام، لمعرفة عدم الصمود لأن حججهم واهية، ولكنهم يستغلون فئات من المنتمين

(١) تأملات في دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، ص ١٤٩.

(٢) إسلامية لا وهابية، ص ٣٥.

للإسلام، ليجعلوهم جسورًا يعبرون منهم إلى مآربهم ويضعون باسمهم الشبهات، حيث أدرك الصليبيون والحاقدون على الإسلام... أن الإسلام الصافي من الشوائب، والحريص أبناؤه على نشر دين الله، وتخليص الأمم الأخرى مما يخالفه هو عدوهم الأول، فلا يستطيعون مجابهته لأنه هو المنتصر، إذًا فلا بد من تشويه صورته، وتفرقة أبنائه، وإثارة الفتن والقتل في بيئته^(١).

٥- تأثير الدعوة (الوهابية) الحديثة بقوة الجهاد:

تقول دراسة (بسط مستقبل الحرب الطويلة): «المملكة العربية السعودية كيان مستقر نسبيًا، لكن عقيدتها الوهابية أثرت بقوة في السلفية الجهادية»^(٢).

وتقول: «يمكن ملاحظة بعض أوجه الشبه الفلسفي بين السلفية الجهادية والوهابية في المملكة العربية السعودية. كثير من المنظرين والمعتنقين الأساسيين للسلفية الجهادية هم سعوديون. في حين أن المملكة العربية السعودية قد لا تعاني من عدد كبير من الحوادث الإرهابية مثل الجزائر أو مصر، إلا أنها كانت مركزًا رئيسًا لإنتاج هذا الفكر»^(٣).

وتتحدث دراسة (العالم الإسلامي بعد ٩/١١) عن الجهاد ضد السوفييت في أفغانستان، تقول: أصبحت أفغانستان المسرح الحقيقي الأول للعمليات الخاصة بالجهاديين السلفيين، الذين يمثلون العقيدة (الوهابية)، بدعم سعودي، وأمريكي في بعض الحالات^(٤).

ويقول كبير مستشاري (راند) (جنكينز): «تمثل المملكة العربية السعودية صعوبات للولايات المتحدة، وتوترت العلاقة التاريخية الوثيقة بين البلدين بسبب مواصلة توسع دعم الدولة في المملكة العربية السعودية لشكل من أشكال التعصب والعدوانية للإسلام المعروف باسم الوهابية، التي يراها كثيرون بأنها البوابة الفكرية للجهادية... ما يسمى بـ(القرآن الكريم)

(١) تصحيح خطأ تاريخي حول الوهابية، ص ٣٥.

(٢) Unfolding the Future of the Long War. APPENDIX A, P. 132, fn 9

(٣) المرجع السابق: Appendix A. P. 137

(٤) The Muslim World after 9/11. P. 96

الذي تستخدمه شركات التوظيف الجهادية لتبرير كراهية الكفار والحث على الجهاد العنيف، هو انتاج سعودي^(١). ونص الجملة الأخيرة:

"The so-called "Noble Quran," used by jihadist recruiters to justify hatred of infidels and exhort violent jihad, is a Saudi production".

هذا هو كلام كبير مستشاري (راند) وعميد باحثي الإرهاب في الولايات المتحدة، وهو كلام غاية في قلة العلم بما يتكلم عنه، حيث لا يفرق بين الجهاد الشرعي الذي دل عليه الكتاب والسنة، وبين الإرهاب والعدوان اللذين يُحرّمهما الكتاب والسنة، ويجعلانهما جرمًا يعاقب عليه.

ومن كلامه الذي يدل على ضحالة علمه بالإسلام: وصفه القرآن الكريم الذي هو كلام الله عز وجل أنزله على نبيه ﷺ قبل أكثر من أربعة عشر قرنًا، السالم من التحريف والتبديل والتغيير، بأنه انتاج سعودي!

وإذا كان هذا كلام كبيرهم، فكيف بمن دونه؟!

إن تلك الاتهامات للأسس التي قامت عليها المملكة العربية السعودية لم تحدث زمن الجهاد ضد الاتحاد السوفييتي في أفغانستان؛ لما كانت المصالح الأمريكية تقتضي دعم ذلك الجهاد بلا حدود.

فلما انقضت تلك المصالح، تعرضت دعوة ابن عبد الوهاب للتشويه، وأنها تنتج فكرًا منحرفًا، وُرُبط ذلك بدول وجماعات وأفراد، بل وأُلصق بالدعوة جماعات دخلها الانحراف، يقول أ.د. ناصر العقل: «تعدى الأمر إلى التوسع في إطلاق (الوهابية) على أشخاص وحركات منحرفة عن المنهج السليم، وتخالف ما عليه السلف الصالح وما قامت عليه هذه الدعوة المباركة، وهذا بسبب تراكمات الأكاذيب والأساطير التي نسجت حول الدعوة وأهلها بالباطل والبهتان»^(٢).

(١) Unconquerable Nation. P. 134

(٢) إسلامية لا وهاية، ص ٧.

فإذا كان خبراء (راند) يريدون أن يُحمّلوا المنهج الفكري الديني في المملكة العربية السعودية القائم على الكتاب والسنة، تبعة نشأة بعض جماعات الجهاد في أفغانستان، الذي شاركت الولايات المتحدة بدعمها باعترافهم، ثم يريدون أن يحاكموا المنهج السعودي وحده، دون محاكمة الولايات المتحدة، فهذا مما يسمى بـ(العدالة الانتقائية)، التي تلقي بالتهمة على من تريد، وتحجبها عن من تريد. ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾^(١). هذا مع كون التهمة أصلاً باطلة؛ لأن ما قام به المجاهدون في أفغانستان كان عملاً مشروعاً شرعاً وعرفاً ودولياً.

(١) سورة القلم، الآية: ٣٦.

المطلب الثاني: أساليب المناورة ضد المشاركة السياسية للأحزاب الإسلامية:

برزت في موقف (راند) من الدعوات والجماعات الإسلامية: قضية البرنامج السياسي؛ وتركزت مقترحاتها حول المشاركة السياسية للجماعات الإسلامية في العملية الديمقراطية، وكيف يكون الموقف الأمريكي منها.

وتراقب دراسات (راند) وتقاريرها -عن كُتب- الأوضاع السياسية والاجتماعية في بلدان العالم الإسلامي، وتقيس مدى تقدم (الإصلاحيين الديمقراطيين)، وتُعَدُّ وجودهم وتقدمهم فرصة ينبغي استغلالها والدفع بها، بينما ترى تقدُّم الإسلاميين تحديًا ينبغي الحذر منه ومواجهته.

وترصد بعض دراسات (راند) مدى الشعبية التي يتمتع بها الإسلاميون، بحيث تؤهلهم للفوز والوصول إلى السلطة، أو لا تؤهلهم، وترصد نقاط ضعفهم، وحجم مشاكلهم، ومدى استعداد القوى الأخرى التي يمكن أن تمنع وصولهم، كالجيش مثلاً^(١). وذلك كله كان قبل اندلاع الثورات العربية.

ويشعر العلمانيون و(الليبراليون) -بحسب دراسة (راند) المنشورة عام ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م- بالقلق إزاء الحديث عن الإصلاحات الديمقراطية، وبخاصة في الأردن والمغرب؛ فهم لا يرفعون أصواتهم كما هو متوقع؛ لأن الإصلاحات سوف تصب في مصلحة الإسلاميين، لارتفاع قوتهم حالياً في البلدان العربية، وتراجع شعبية غيرهم؛ لذا يميل العلمانيون و(الليبراليون) إلى نهج الإصلاح السياسي البطيء، وبخاصة البطء في المسائل المتصلة بالانتخابات^(٢).

وتقول دراسة (بسط مستقبل الحرب الطويلة): «الجماعات الإسلامية بصفتها المشكلة الرئيسة التي تواجه الولايات المتحدة تتضمن قدراً كبيراً من هدف خفض أو إلغاء الدعم للفكر الديمقراطي ولتعزيز الديمقراطية في مكان تلك الجماعات»^(٣).

لكن جاء (ديفيد آرون)، ليشير إلى منهج العمل في ظل هذا التحدي، يقول: «ولكن بعد

(١) ينظر مثال لهذا : Islamic Fundamentalism in Pakistan. P. 36

(٢) ينظر : More Freedom, Less Terror? P. 172

(٣) Unfolding the Future of the Long War, P. 115

بجح الإسلاميين -غير السار- في الانتخابات في مصر وفلسطين^(١)، تراجعت الولايات المتحدة عن المطالبة بالديمقراطية. إنها تحتاج إلى مضاعفة المطالبة بها، والالتزام بذلك، وتطوير استراتيجية متعددة الوظائف، ليس للديمقراطية فحسب، بل لأنصار الديمقراطية. هذا لا يعني الإصرار الأعمى على الانتخابات، وصرف النظر عن هذه الظروف، لكن يعني الضغط من أجل حقوق الإنسان، وسيادة القانون، وبوجه خاص المجتمع المدني^(٢).

ونحوه ما جاء في دراسة أعدها عشرة من خبراء (راند)، تقول: إن التحول الديمقراطي في العالم الإسلامي ينبغي أن يتم ببطء، وإن دفعه بشدة قد يؤدي إلى عواقب ليست في صالح الغرب، من زعزعة للاستقرار أو وصول الإسلاميين إلى السلطة بالقوة، كما حصل زمن إدارة (كارتر)^(٣)، حيث دفع بشاه إيران^(٤) نحو الديمقراطية بسرعة كبيرة جدًا؛ فأدت السياسة الأمريكية إلى تقويض قدرة الشاه على الحكم، من غير أن تمنح وقتًا كافيًا لاكتساب الثقافة السياسية الناضجة للمسؤولين الإيرانيين، وتركت المجال سانحًا للخميني^(٥) ليأتي بدولة إسلامية

(١) يشير إلى فوز حماس في فلسطين، وفوز الإخوان المسلمون في مصر، وذلك قبل الثورات العربية التي حدثت عام ١٤٣٢هـ.

(٢) In Their Own Words: Voices of Jihad. P. 303

(٣) الرئيس التاسع والثلاثون للولايات المتحدة الأمريكية، تولى الرئاسة عام ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م. موسوعة السياسة ٥/٢٢. ولا يزال حيًّا، وله نشاط تنصيري، وبخاصة في أفريقيا.

(٤) محمد رضا بهلوي، ملك إيران منذ عام ١٣٦٠هـ/١٩٤١م إلى أن أطيح به عام ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م. موسوعة السياسة ١/٥٨٠-٥٨١.

(٥) آية الله الخميني، اسمه روح الله بن مصطفى بن أحمد الموسوي الخميني، نسبة إلى (خومين) البلدة التي ولد فيها جنوب طهران، وهو الرمز الأكبر للشيعا في إيران في القرن المنصرم، استولى على السلطة عام ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م إثر الإطاحة بالشاه ملك إيران، وأعلن الجمهورية الإسلامية، توفي عام ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م. تنظر: الموسوعة العربية العالمية ١٠/١٦٥-١٦٦؛ والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب ١/٤٣٧؛ وموسوعة الحركات الإسلامية في الوطن العربي وإيران وتركيا، ص ٢٨٥-٢٨٦.

على مذهبه. لذا ينبغي اليوم أن تعطى الدول الوقت اللازم والمساعدة على النمو نحو الديمقراطية بما يتفق مع وضعها السياسي الحالي^(١).

وجاء في دراسة أخرى: «على الولايات المتحدة الأمريكية التمسك بنشر الديمقراطية باعتباره أولوية رئيسة في السياسة الخارجية، ولا يعني هذا أننا نوصي بتغيير الأنظمة الحاكمة أو فرض الديمقراطية بالقوة. إن الإصلاح السياسي في العالم العربي - بل في نطاق أوسع في جميع أنحاء المنطقة - هو متنوع، وعملية داخلية تتطلب حساسية»^(٢).

ويُفهم من جملة النصوص السابقة أن قضية نشر الديمقراطية في العالم الإسلامي لن تأخذ مساراً محدداً، بل ستكون بحسب ثقافة البلد بالمسائل الديمقراطية، ومدى وجود البنية التحتية للديمقراطية، وبحسب قوة الإسلاميين في البلد، ومدى أثرهم في المشاركة السياسية.

إن التحكم بالعملية الديمقراطية في البلدان الغربية يجري بطرق ملتوية وغير ظاهرة أو غير مباشرة، فهي في أنموذجها الغربي تقوم على الخداع والأساليب الملتوية^(٣)، وستكون عند تطبيقها في بلدان المسلمين أشد تلاعباً وأشد مراوغة، ويتضاعف التلاعب والخداع عندما تُستهدف الجماعات والأحزاب الإسلامية.

ومن القضايا الكبرى للولايات المتحدة الأمريكية: كيف يمكنها نشر الديمقراطية في العالم الإسلامي بصورة تتوافق تماماً مع مصالحها الحالية والمستقبلية، بحيث يسيطر عليها الفكر (الليبرالي)، وتكون بعيدة المنال عن التشريع الإسلامي.

(١) War and Escalation in South Asia. P. 80

ويلحظ أن الدراسة تتحدث عن جنوب آسيا، لكن هذا الرأي - في تحليل الباحث - لا فرق فيه في أي مكان، إلا إذا كانت بعض الفرص مواتية فقد يُعدل عنه لإمكان الفرصة.

(٢) More Freedom, Less Terror? P. 173

(٣) للاطلاع على جملة من هذه الأساليب، ينظر: مذاهب فكرية معاصرة، ص ٢٠٤-٢٢١؛ والولايات المتحدة الأمريكية وقضية الديمقراطية في العالم العربي، ص ٩١-٩٢.

وفيما يلي عرض لأساليب المناورة ضد مشاركة الأحزاب الإسلامية، مما يقترحه خبراء (راند)، أو مما يعرضونه في دراساتهم من وصف لبعض حالات المناورة في العالم الإسلامي مما تنتهجه الدول ضد مشاركة الأحزاب الإسلامية؛ باعتبار أن ما يعرضونه من حالات يجعلونه في قواعد المعلومات التي يرجعون إليها ولو بعد حين، ويحاولون توظيفها في دراسات قادمة، كما هو منهجهم في ذلك:

١- تعزيز التنفير من طريقة حكم الإسلاميين:

ما يقوم به الإسلاميون في السلطة من إقامة شعائر الله وحدوده، من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامة الحدود والقصاص والتعزير، يمكن أن يُستغل في تنفير الناس من حكمهم، حيث ترى (بينارد) أن ثمة مؤشرات بأن (الأصولية المتطرفة) عند انتقالها من المعارضة إلى السلطة تميل إلى تنفير شرائح كبيرة من الشعب بمقاربتها القمعية الصلبة^(١)، وتقترح (بينارد) تعزيز هذا التنفير^(٢).

وسيلقى هذا التنفير رواجًا وقبولاً في أوساط بعض المسلمين، ممن ضعف إيمانهم، وأثر فيهم الإعلام السليبي؛ لذا ينبغي تربية النشء وإرشاد الناس بعامة إلى تعظيم حدود الله تعالى، وأهمية إقامة شعائر الإسلام، ومنها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والحدود، والقصاص.

٢- تكذيب شعار أن تطبيق شريعة الإسلام سيحل مشاكل المجتمع:

تدعو (بينارد) عملاء الغرب في العالم الإسلامي إلى تكذيب مقولة: (إن الشريعة الإسلامية تقضي على الجرائم، وإن تطبيق الإسلام والشريعة الإسلامية سيحل مشاكل المجتمع)، وذلك بإبراز النماذج المضادة لذلك من واقع بعض البلدان التي تطبق الشريعة الإسلامية، حيث ينتشر فيها إدمان المخدرات، وتعاطي المسكرات، وممارسة الفاحشة، وهروب

(١) سواء كانت غير مشروعة إسلامياً كحال القمع الإيراني، أم مشروعة من باب إقامة الحدود والقصاص والقصاص والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كحال طالبان قبل الغزو الأمريكي. وقد أشارت المؤلفة إلى هذين البلدين من غير تفصيل ولا تفريق.

(٢) إسلام حضاري ديمقراطي، ص ٣٩.

الفتيات، وارتفاع نسبة الجرائم، وغيرها من المشاكل^(١).
 إن إثارة مثل هذه الشبهة لا تنطلي على المسلم التالي لكتاب الله تعالى، ومن له أدنى اطلاع على أحوال المجتمعات الإسلامية، فهو يعلم أن تطبيق الشريعة فيها لا يَسْلَم من مؤثرات سلبية يدعمها الغرب نفسه منذ حلّ مُستعمراً، فمتى يبلغ البنيان كماله إذا كان الغرب بأساليبه ووسائله المتعددة، المحلية والدولية، والحكومية والأهلية، يعمل -ليل نهار- على الهدم! ومع الإقرار بوجود هذه المشكلات، وتوالي الهدم الغربي المعزز لها، فإن مقارنة نسبة الجرائم والمجرمين في بلد يطبّق الشريعة الإسلامية بغيره من بلدان المسلمين التي لا تطبقها، بل من بلدان الغرب المتحضر، ليدل دلالة قاطعة على نسبة عالية من الأمن في بلد الشريعة، ونسبة عالية من الخوف والتدهور الأمني في غيرها.

فهذه الشبهة ضعيفة، ومع ذلك ينبغي التصدي لها لأنها تؤثر في أهل الأهواء.

٣- إظهار عجز الإسلاميين عن إدارة الحكم بصورة فاعلة:

تدعو (بينارد) -تحت فقرة مواجهة (الأصوليين) ومعارضتهم- إلى "إظهار عجزهم عن استلام سدة الحكم بما يحقق أي شكل من أشكال التطور الإيجابي لمجتمعاتهم"^(٢). ويقول (فولر): "الناس يسعون لتحقيق احتياجاتهم وتطلعاتهم من الحكومة، بغض النظر عن تلوّن الحكومة، وبالمثل فإن السياسات الفاشلة لا تبرّر ببساطة من خلال التذرع بالإسلام بوصفه المبدأ الذي طبقت بموجبه السياسات"^(٣).

وهذا الكلام فيه جانب من الصواب وفيه جانب كبير من الخطأ، فالصواب: أن فشل السياسات لا يُنسب إلى الإسلام، على نحو ما قال خير الأمة -بعد نبينا ﷺ- أبو بكر ﷺ، وحبر الأمة عبد الله بن مسعود ﷺ، لما أفتيا في بعض المسائل، قالوا: «إِنْ يَكْ صَوَابًا فَمِنْ اللَّهِ،

(١) المرجع السابق. ومثّلت لذلك بإيران.

(٢) Civil Democratic Islam. P. 64. Appendix C

(٣) Islamic Fundamentalism in Pakistan. P. 18

وإن يكن خطأ فمني ومن الشيطان، والله ورسوله بريئان»^(١).

والخطأ: قوله: إن الناس لا يهمهم شكل الحكومة . فإن رضا الناس بتحكيم غير الإسلام كفر؛ ولذلك فإن المسلم الحق لا يرضى بتحكيم غير الإسلام ولو كان في حكمه صلاح دنيوي ظاهر، كما أنه لا يرغب عن حكم الإسلام لسوء سياسة الحاكم، بل ينصح الحاكم ويطلبه بالإصلاح، ولا يطالب بإبطال حكم الإسلام.

٤- الاهتمام بالأسس التي تقيد عمل الأحزاب الإسلامية في الحكم.

تدعو دراسة (العالم الإسلامي بعد ٩/١١) إلى الاهتمام ببناء الدستور وسن القوانين الانتخابية التي تنظم استخدام الدين في السياسة، وهذا سيساعد في تقليل المخاطر من مشاركة الأحزاب الإسلامية^(٢). وقد سبق في مبحث الشريعة الإسلامية في الفصل الثالث الحديث عن هذا الجانب.

٥- إجبار الحزب الإسلامي على تقاسم السلطة مع غيره:

من أساليب المناورة: إلقاء الحزب الإسلامي عند فوزه بنسبة عالية إلى القبول بحل غير ديمقراطي، من خلال إجباره على تقاسم السلطة بينه وبين حزب آخر غير إسلامي لا تؤهله الأصوات التي حصل عليها على المقاسمة بحسب النظام الديمقراطي، أو الإجبار على تقاسم السلطة مع الجيش الذي ليس من حقه أصلاً الدخول في الانتخابات ولا ممارسة السياسة^(٣). وتقاسم السلطة يحد من سلطة الأغلبية، ويوفر ضمانات للأحزاب التي تمثل أقلية^(٤).

(١) هذا لفظ ابن مسعود رضي الله عنه، رواه أبو داود ٥٩٠/٢، كتاب النكاح، باب فيمن تزوج ولم يسم صداقاً حتى مات، ح ٢١١٦؛ والنسائي ٤٣٢/٦، كتاب النكاح، باب إباحة التزويج بغير صداق، ح ٣٣٥٨؛ وصححه الحاكم على شرط مسلم ووافقه الذهبي ١٩٦/٢-١٩٧، ح ٢٧٣٧. وروى نحوه ابن جرير الطبري عن أبي بكر رضي الله عنه، جامع البيان ٥٣/٨، أثر ٨٧٤٥.

(٢) The Muslim World after 9/11. P. 173

(٣) ينظر مثل هذه المناورات في حالة (الجبهة الإسلامية للإنقاذ):

Algeria: The Next Fundamentalist State? P. 101.

(٤) The Beginner's Guide to Nation-Building. P. xxxiv

٦- محاولة إفشال فوز الحزب الإسلامي في انتخابات الولاية الثانية:

من مزايا الديمقراطية في نظر الغرب أن الحكام فيها لا يدومون طويلاً وهذا مكسب يروونه يصب في صالح الدول الغربية، فإذا ما فاز حزب إسلامي فإنه لن يلبث إلا يسيراً حتى يذهبون به ويأتون بغيره، يقول (فولر): «إذا كان المنتخب قانونياً، فإنه سيكون في ظل قيود قوية على ترك السلطة إذا لم يتم انتخابه لولاية ثانية»^(١). ومن المتوقع أن يكون هناك تحرك لإضعاف درجة فوز الحزب في الانتخابات الثانية، كما مثلت لهذا دراسة لـ(راند) عن إيران، تقول: «إن الاستياء من تكاليف السكن والخدمات الحضرية، وبخاصة إذا كان موجهاً نحو العوامل المسؤولة عن الحالة الراهنة لشؤون الدولة -السياسات الحكومية والمسؤولين- فيمكن بسهولة التأثير في الانتخابات المستقبلية»^(٢).

وتدعو أيضاً إلى «إضعاف قدرات الحكومة... لتضييق الخناق»^(٣). وفي المقابل تدعو دراسة ثانية إلى «دعم (المعتدلين) من خلال مساعدتهم في الحصول على الاعتراف الدولي، بما يساعدهم على اكتساب المكانة الداخلية»^(٤).

ويظهر أن العمل جرى على إفشال الأحزاب الإسلامية في الحكم في العام الثاني وليس في الولاية الثانية، كما جرى هذا واقعاً في مصر وتونس بعد تسلم أحزاب إسلامية الحكم.

٧- فرض عقوبات على الحكومة الإسلامية:

جاء في دراسة خاصة في الشأن الإيراني، التوصية بـ «معاقبة الحكومة... أو موظفيها على انتهاج سياسات ضارة بالولايات المتحدة»^(٥). وهي وإن كانت خاصة في شأن الحكومة الإيرانية، لكنها في رأي الباحث يمكن أن تصبح تكتيكاً عاماً.

(١) قاله (فولر) في حالة الجبهة الإسلامية للإنقاذ: P.ix: Algeria: The Next Fundamentalist State?

(٢) Iran's Political, Demographic, and Economic Vulnerabilities. P. 114

(٣) المرجع السابق: P. xix. وهي توصية خاصة في شأن الحكومة الإيرانية، لكنها في رأي الباحث يمكن أن تصبح تكتيكاً عاماً.

(٤) The Muslim World after 9/11. P. 140

(٥) Iran's Political, Demographic, and Economic Vulnerabilities. P. xix

مثل هذه المعاقبة لا شك سوف تعود بأضرارها على الشعب؛ وقد تؤدي إلى امتعاضه من حكومته، ثم تفضيله حزبًا آخر عليها، وبخاصة إذا غلبت الدنيا على اهتمامات الناس، وضعف إيمان كثير منهم، في ظل تنامي للإعلام السيئ، وكثرة للبرامج المغرضة، وتناقص في جهود الدعوة إلى الله تعالى.

٨- تعزيز أسباب الخلاف بين الأحزاب الإسلامية:

يقول (ديفيد آرون) بعد أن دعا الولايات المتحدة الأمريكية إلى مضاعفة المطالبة بالديمقراطية في العالم الإسلامي: إن «الإسلاميين في صعود، وربما ينبغي أن ينصب تركيزنا على مشجعي الديمقراطية الإسلامية»^(١)؛ والتي يمكن أن تدعو إلى مزيد من الاختلاف بين الأحزاب الإسلامية»^(٢).

٩- عدم معارضة مشاركة الأحزاب الإسلامية؛ لتحسين الصورة العالمية للولايات

المتحدة:

تصرّح دراسة صادرة قبل ثورة مصر^(٣) بثلاث سنوات، بأن إشراك الجماعات الإسلامية في التغيير السياسي الديمقراطي في مصر، لا يعني بالضرورة دعم الولايات المتحدة لها، ولكن يُنظر إلى الولايات المتحدة على أنها أكثر أصالة تجاه المبدأ، وليس لها مصالح ذاتية^(٤).

وفطن لنحو هذا بعض الدعاة والباحثين منذ زمن، بوجه عام، يقول محمد قطب: «الجماعات الإسلامية -الداخلية في التنظيمات السياسية لأعداء الإسلام- هي الخاسرة في

(١) (Islamic Democracy) . ليس في الإسلام (ديمقراطية إسلامية)، وإنما الحكم الإسلامي، وهو متميز لا يماثله ديمقراطية ولا غيرها. ومن يحاول أن يجعل الديمقراطية متوافقة مع الإسلام حقيقة فسوف يجد نفسه -في نهاية جهده- أنه يلتقي مع الحكم الإسلامي مجددًا، لا مع ديمقراطية إسلامية.

(٢) In Their Own Words: Voices of Jihad. P. 303

(٣) عام ١٤٣٢ هـ.

(٤) The Kefaya Movement. P. 49

لعبة الدبلوماسية، والأعداء هم الكاسيون! سواء بتنظيف سمعتهم أمام الجماهير، بتعاون الجماعات الإسلامية معهم، أو تحالفها معهم، أو اشتراكها معهم في أي أمر من الأمور^(١).

١٠- تعمّد وصف بعض الجماعات الإسلامية بالإرهاب:

تنتهج بعض الأساليب تعمّد إضفاء صبغة (الإرهاب) على بعض الأحزاب الإسلامية؛ من أجل إقصائها عن المشاركة السياسية^(٢).

(١) واقعنا المعاصر، ص ٤٦٥.

(٢) يُنظر موقف بعض المتشدددين في المجلس العسكري الجزائري من (الجهة الإسلامية للإنقاذ):

Algeria: The Next Fundamentalist State? P. 47.